

تغيير أم إلهاء

العناوين الواحدة والبراقة تحكمت بانطلاقة "العهد الجديد"، وكلها تصلح لتلحق بقافلة الشعارات المستعملة في هذه الأيام، واليوم اختاروا منها التغيير والإصلاح وما عرفوا معاني هذه الكلمات. إن ما يتحكم اليوم بالمسلكية الجديدة "الحكم والحكومة" لا يتعدى الاستمرار في النهج العام بعناوين مختلفة وأوجه مغايرة لبقية:

* الاستهتار بآراء ومطالب ومواقف وحقوق المواطنين،

* الانتهاك المتكرر للشرعة الدولية ولشرعة حقوق الإنسان،

* تحميل المواطنين ما لم يعد باستطاعتهم تحمّله، ففتشوا في جيوبهم وفي بيوتهم وفي موارد رزقهم ليجبوا منهم ما سرقه أسلافهم.

المواطن هو المذنب الدائم يطلبون منه التوضيح، يحملونه الأعباء ويحاسبونه على مخالفاتهم وتدابيرهم وإجراءاتهم.

في الماضي القريب، أي منذ أشهر قليلة، تراءى لبعض اللبنانيين أن أملاً جديداً وفجراً جديداً قد ينبثق عليهم، يحمل لهم بعض الحلول وبعض الازدهار ويعيد إليهم بعض الكرامة وبعض الحرية، وإذ بهؤلاء أنفسهم يتراجعون عن مواقفهم، يسخرون من تسرعهم ويعودون إلى فشلهم.

بالواقع، لقد استعادوا رشدهم ليعرفوا أن الشعار في عالمنا يبقى شعاراً والعناوين البراقة تبقى عناوين. ليس المهم تغيير الصورة أو الاسم أو الشخص الذي يحتل كرسي المسؤولية، المهم هو تغيير الذهنية وطريقة التعاطي مع الشأن العام ومحاولة الالتحاق بعالم التطور للتمثل به وليس المزايدة بالولاء لعالم الظلامية والتخلف. مشكلة اللبنانيين سهلة جداً ومعقدة جداً.

سهلة إذا ما نظرنا إليها بتجرد واعتمدنا لبلدنا حلولاً على مستوى علمنا وأفكارنا وانفتاحنا.

ومعقدة جداً إذا ما لم نتمكن من إخراج أنفسنا من التبعية العمياء والوصاية القاصرة والمحاسبة الاستثنائية.

مشكلة اللبنانيين سهلة جداً إذا تمكنا من إخراج أنفسنا من عقد الذنب والخوف والمسايرة،

ومعقدة جداً إذا اعتمدنا في ما بيننا سبل التفرقة والمزايدة والمفاضلة،

ومشكلة اللبنانيين سهلة جداً إن صدقنا مع أنفسنا ومع أصدقائنا ومواطنينا ومع أشقائنا،

وهي معقدة جداً إن صدقناهم وما ردعناهم عن خطأ يترتب عليه السقوط والضياع والانحلال.

نحزن إذ ذاك على أنفسنا كما نحزن على أهلنا وعلى مستقبل أبنائنا.

فالسقوط سقوط لرئاسة وحكومة وسلطة، والضياع ضياع لفرصة ومبادرة وأمل، والانحلال إصابة لمواطن وإدارة ودولة،

بسرعة العصر جاء السقوط والضياع والانحلال، نبهنا منه وما أردناه، سلطة الزور والزيغ والانتقام، أخافتها الحرية فأوقفت من نادى بها وتناولت على طلاب شباب كان من واجبها الوقوف إلى جنبهم وحمائهم وتشجيعهم والتمثل بهم.

أخافتها الكلمة فتنازلت عن صحافة رائدة بدورها وفرضت عليها الرقابة والتوجيه والكتابة.

أخافتها المحاسبة فاقتصت من المواطن وتناست كبار السارقين وامتثلت لخطوط الطائفية والمذهبية والتبعية.

أخافها الحجر والاثر فشرعت دخول المتاجر والبيوت وحكمت وختمت بالشمع الأحمر وصورت وعرضت

واستعرضت بانتظار "نتائج التحقيق" وما تجاسرت على من جرف وطمر وحطم الهياكل والمعابد والآثار.

السلبية الدائمة تُميت ولا تصلح والإيجابية في التعاطي موجبة وملزمة، ما قام قانون على مبدأ العقاب،

إن القوانين غايتها حماية الضعفاء.